لقاء صحفي:

الشاعر سامح درويش

حاوره: محمود الرجبي

لقد وصفته ذات يوم:

إنه شاعرٌ ماهر في الكشف عن مكامن الجمال في القصيدة، فهو يعرف كلَ أسرارها، وفي سرير خياله اعتادت أن تنام آمنة !!

إنه شاعرٌ لا يشبه أحدا سواه، يداه أبعد من غيمة لا تنتهي، عيناه أعمق من صمت الجبال الذي تسمعه النجوم وتفهمه، خياله أسرع من شرارة ذكرى مفاجئة، روحه أقرب من فراشة تعشق أن تحترق !!

إنه شاعرُ الثواني التي يمتد وقتها إلى الأبد، الثقب الأسود في عينيه، يبتلع مجرات الاحداث كلها، وينقلها عبر بوابة العبور إلى كل الأمكنة والأزمنة الممكنة !!

إنه شاعرٌ ترتجف المعاني بين يديه عارية، فيسترها بحرير الكلمات النادرة، ويعطيها زينتها عند باب كل قصيدة حالمة !!

إنه شاعرٌ أقرب منك إليك، وأقرب من أية لحظة صمت هادرة !!

إنه شاعرٌ تتمنى لو تملك عينيه لحظة واحدة، لا لترى ما يرى، بل لترى كما يرى !!

إنه شاعرٌ تتفتح بين يديه كل قلوب الأزهار بلمسة يدٍ حانية، مع أن كل فراشات العالم قد لا تكفي لتفتح قلب زهرة واحدة !!

إنه شاعرُ الكلمات التي لا تشبه سوى نفسها، والمعاني التي تخفي بذكاء روحها، والدهشة التي تصنع نفسها بنفسها !!

إنه شاعرٌ حزين مع أنه يتقن التظاهر بالفرح أمامنا، تفضحه عيناه النازفتان بالحزن، عند كل ضحكة تنجح بالتسلل إلى شفتيه مرغمة !!

إنه شاعرٌ أصبح الناطق الرسمي باسم الحياة بيننا، لأنه شاعرٌ يتقن الحديث عن الموت، ويرفض أن يموت إلا تحت مقصلة الخلود !!

إنه شاعر مثلي ومثلك ومثل جميع البشر، إلا أنه لا يشبه سوى نفسه كما قلت سابقا، فكل مجرات الكون تسبح فيه، في رحلة دائمة، ومع ذلك يحيا كأي رجل حزين وحيد بيننا !!

في هذا اللقاء المتميز مع الشاعر سامح درويش، نوغل في المتعة حد عدم الاكتفاء وطلب المزيد دائما، فهو شاعر مدهش بكل المقاييس الممكنة، ويحفر عميقا عميقا في الذاكرة.. وعلى بركة الله دائما، نبدأ في هذا الحوار الجميل:

*** كثيرون يسألون من هو الشاعر الإنسان سامح درويش ؟!!!**

ليتني عرفته .. منذ طفولتي أحاول التعرف إليه سدى .. في حدود معرفتي السطحية به ، هو من مواليد منتزه " تكفايت" شرق المملكة المغربية، تلقى تعليمه الإبتدائي ببلدته في أحضان طبيعة ساحرة، وواصل تعليمه الثانوي غير بعيد بمدينة جرادة المنجمية، حيث فتح عينيه على الشعر بوصفه قرينة للحب، ذلك الشعر الذي يسعل مثل عامل منجميّ يطلع لتوّه من باطن الأرض، حيث لا تكون اللغة كاملة إلا إذا سمعتَ لها حشرجة تصعد من رئات الكلمات ، حيث تعلم كيف يصنع من كريسطال اللغة خوذة له، وكيف يحمل حلمه مثل مصباح على جبينه يشحنه مباشرة ببطارية قلبه، وحيث ظل يتغلْغلُ زحْفًا على الحرْف نحْو بوَاطن القوْل، وهو يحاذر أن تنهار عليه أكوام أشعاره، لينتقل في مرحلته الجامعية إلى مدينة وجدة الألفية على الحدود المغلقة بين البلدين الشقيقين المغرب والجزائر اللذين يجمعهما التاريخ والجغرافيا وتفرقهما السياسة،حيث يقيم حتى الآن .. يُروى أنه قد عكف منذ شبابه الأول على تحويل كلماته إلى فراشات .. وأن الحب قد أنبت مبكّرا لقلبه ريشا حتى بدا مثل فرخ لقلق .. أصيب بداء اللغة منذ طفولته، وقد تطورت به ورطة الكتابة حتى أضحى يصاب من حين لآخر بنوبات هايكو حادة .. فهل سيقوده الهايكو إلى التعرف إلى نفسه قليلا ؟

*** هل يولد الإنسان شاعراً أو أديباً .. ماهي الأسس التي لابدَ أن تتوفر بشخص ما حتى يكون شاعرا أو مبدعا؟!!!**

يتراءى لي أحيانا أنه قد يكتشف العلم يوما جينات الشعر والأدب والفن في الإنسان كما انحدر عبر نسله منذ أجداده الأوائل، مما سيكشف أن الإنسان لا يولد صفحة بيضاء تماما، لكن مع ذلك فلا بد لكل مبدع في مختلف أصناف الإبداع أن يتملك أدوات فنية وجمالية لإنتاج إبداعه، هذا بالرغم من أنني أعتقد أن كل الناس شعراء بالفطرة، سوى أن التعبير الشعري يختلف من شخص لآخر حسب الأدوات التي يتوفر عليها .. فإن كان الشاعر المتعارف عليه يعبر شعريا باللغة التي يمتلك، فإن الفلاح – مثلا – الذي لا يمتلك هذه الأداة، يستطيع أن يكون شاعرا بطريقة حمل عتلته على كتفه وهو يطلع من حقله في لحظة تأملية وقت الغروب.. ويمكن الجزم أن ليس هناك وصفة محددة لصناعة شاعر أو مبدع في حقل من الحقول الفنية، لنخلص إلى رأي متناقض تماما يحمل الشيء وإمكانية دحضه في آن : يولد الإنسان فنانا، ولا يولد كذلك.

إنه تطهير ذاتي للحواس من شوائب العادة .. إنه إعادة اكتشاف ما سبق لنا اكتشافه بشكل مختلف .. إنه احتكاك تلقائي للإنسان بالطبيعة والمجتمع من حوله .. إنه تدفق ضوء في جوف الظلمة من ثقب الرؤية ..إنه - بالنسبة لي - أشبه ما يكون بالتماعة عينيْ قط في الظلام.

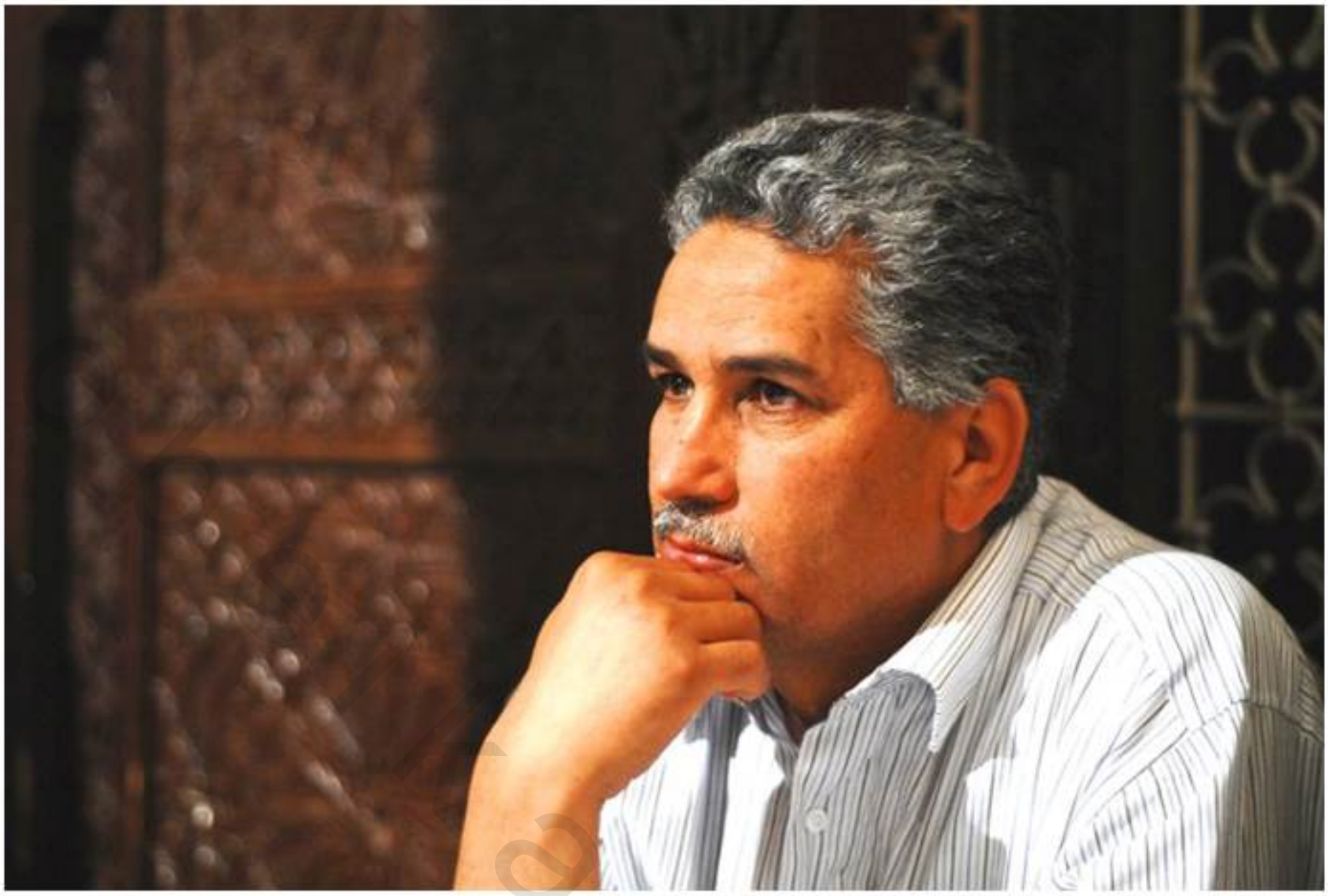

***مـا تعريفـك الخـاص بـك للهـايكو العربـي ونظرتـك الخاصـة لـه، ومـا الشـروط الواجـب توفرهـا في قصيدة الهـايكو العربيـة لتمييزهـا عن باقي فنون الشعر الأخرى؟**

يسـألونك عـن الهـايكو .. قـل إنـه تطهيـر ذاتي للحواس من شوائب العادة .. إنـه إعـادة اكتشاف ما سبق لنا اكتشافه بشكل مختلف .. إنـــه احتكـــاك تلقـــائي للإنســـان بالطبيعـــة والمجتمـع مـن حولـه .. إنـه تـدفق ضـوء فـي جوف الظلمة من ثقب الرؤية ..إنه – بالنسبة لـي - أشبه مـا يكون بالتماعة عينـيْ قط فـي الظلام ،علـى الهايكيست أن يوصلها للمتلقي بمـا يعـادل دهشـة وجماليـة وتلقائيـة تلـك الالتماعـة كمـا تحـدث علـى حـين غـرّة فـي الواقع. ..

إنه شحنة دهشة خاطفة تنقشع في دفقة واحدة ، لتبقى مثل نقش ضوء على صفحة الروح..الهايكو في سريرة نفسي مقترن بطائر السَّبَد (مُلهِي الرعاة) ، كلما حلّ حلت معه صورة هذا الطائر المتفرد الذي كلما اقتربتَ منه واعتقدتَ أنك على وشك القبض عليه يطير أماما ثم يحط غير بعيد عنك ليعطيك انطباعا مستمرا أنك قادر على القبض عليه، من غير أن تتمكن من ذلك في النهاية إلا إذا حدثت أعجوبة ما .. ولا أظن أنه في حياة المرء يمكن أن تحدث أعجوبات كثيرة.. وقل ما أوتيتم من الهايكو إلا قليلا !!..

إن فن الهايكو بكثافته المدهشة وآنيته ومشهديته منتشر اليوم في كل شعريات العالم بالرغم من منشئه الياباني، إذ أن الثقافة الإنسانية تتجه أكثر فأكثر نحو التلاحم والتلاقح من أجل بناء سقف إنساني مشترك. ففي غمرة الأسئلة الحضارية والثقافية الكبرى التي تعيشها الشعوب العربية اليوم، وفي خضم التوثب الذي يشهده الشعر دائما، فإن المستقبل هو بلا شك لتحرر الشعر من كل القيود وتطلعه للشحنة الشعرية الخالصة التي تلتقط إيقاعاتها وأدواتها الجمالية من نبض الحياة في تفاصيلها، ومن هواجس الإنسان وتوتراته.

فالهايكو "العربي" لن يكون له موقع ولا معنى ما لم يمتح من ثقافتنا وأرصدة شعبنا الرمزية والجمالية ليلتحم بالثقافة الإنسانية ليس كنسخة مكرورة، بل كاقتراح جمالي من ثقافة لها خصوصياتها وصبغياتها الروحية والمعرفية، مع الإبقاء على روح الهايكو المتمثلة في البساطة والآنية والتحلل من زخارف البديع دون إهمال أيضا لروح البلاغة المتجددة ، وذلك حفاظا على هوية الهايكو التعبيرية بالجوار من أشكال شعرية مماثلة لكنها مختلفة مثل الومضة والشذرة الشعريتين.. وإن كنا نلاحظ – اليوم- أن الهايكو قد أضحى يستقطب عددا هائلا من الأصوات الشعرية، خاصة منهم الأجيال الشابة التي عاشت إحباطات ما سمّي بالربيع العربي، فإن الأمر يبدو لي مؤشر سلامة شعرية وفنية، في أفق تجاوز تمجيد الذات بشكل كابح للإبداع وارتياد أفاق جديدة للتعامل مع مأزق الشعرية العربية، علما أن تاريخ الشعر هو تاريخ مآزق بامتياز، فقط ينبغي أن يظهر في مشهدنا النقدي جيل جديد من النقاد لتتبع و تقويم ومواكبة ما يتم إنتاجه في هذا الصدد.

إنني ممن يؤمنون بقدرة الشعر العربي الدائمة على التجدد ومقاومة أسباب ترهله، وأسباب أي عجز محتمل بسبب المحافظة والتحنيط الشكلي ..

*** ثمة رأي يقول إن المشهد الشعري العربي اليوم أصبح يعاني كثرة الشعراء و قلة الشعر، ما رأيكم بالمشهد الشعري العربي العام، وكذلك فيما يخص قصيدة الهايكو ؟**

إن الشعر هو شحنة إنسانية تتفاعل مع وضعيات الإنسان وتتخذ أشكالها المناسبة من هذه الوضعيات بالذات، ومن هنا فإن الشعر هو جوهر وليس معطى عارضا، الشعر ليس أصباغا بل هو الوجه الصميم ، فكلما أزيلت الأصباغ عن وجه الوجود الإنساني ظهر الشعر وتجلى لأنه يرتبط بالحقيقة و يعبر عنها، ومن هنا أيضا يظل الشعر قادرا على حماية نوعه و الاستمرار بالصيغ والأشكال التي تلائم جوهرة، ومن هنا أيضا يظل الشعر مرتبطا بالوجود الإنساني على هذا الكوكب أوغيره، لذلك فإن الشعر هو من الطاقات الرمزية المتجددة، ولذلك سيستمر الشعر بمآزقه وتوثباته .. فلا خوف على الشعر .. إنه كوكبنا الرمزي الذي لن يتهدده الاحتباس المجازي أبدا، هو هواء المشاعر الذي تستنشقه أرواحنا، إنني ممن يؤمنون بقدرة الشعر العربي الدائمة على التجدد ومقاومة أسباب ترهله، وأسباب أي عجز محتمل بسبب المحافظة والتحنيط الشكلي .. فالشعر هو حالة وجود تستمر بصيغ وأشكال وأدوات مختلفة،ولا يمكن إطلاقا كبح توثبه الدائم و تسييج فضاءاته اللامحدودة .

*** هل وجود الإيقاع الخارجي أو الداخلي ضرورة أساسية في قصيدة الهايكو العربي؟**
***ما زال الخلاف قائما حتى الآن بين منظري الهايكو العربي، فيما يخص استخدام المجاز أو الحد المسموح به من استخدام للمجاز في قصيدة الهايكو العربية، أين يقف الشاعر سامح درويش من ناحية الرأي والتطبيق؟**

في خضم الحوار البناء والمناقشات الهادئة التي خضناها في عدد من الصفحات المهتمة بشعر الهايكو، سبق لي أن عبرت في مناسبات عدة عن رأيي المتواضع في عدد من القضايا الفنية والجمالية المرتبطة بالتأسيس لهايكو عربي ينضح بفرادته ومميزاته، و من بين هذه القضايا مسألة الإيقاع في قصيدة الهايكو، إذ قبل أن تطرح قضية الإيقاع على الهايكو قد طرحت وتطرح على قصيدة النثر بكل تلويناتها، علما أن الإيقاع الشعري التقليدي المرتبط بالقصيدة العمودية قد تم استنباطه بعد دراسة المنجز الشعري السابق لمرحلة التقعيد الإيقاعي في ما يسمى ببحور الخليل، أي أن الشعر سابق عن القواعد الإيقاعية، هذا مع ما طرح من نقاش حول المسألة الإيقاعية مع ظهور قصيدة النثر العربية، والحاصل أن الإيقاع هو تمنحه الحياة بتحولاتها من رنات موسيقية،ومن منظومات إيقاعية تتشربها الذات الشاعرة لتزرعها في البناءات اللغوية، أي أن لقصيدة النثر إيقاعاتها الداخلية والخارجة، ولا يعوزنا سوى فراهيدي جديد، والأمر ذاته يسري على قصيدة الهايكو، التي من حقها في مناخ شعري عربي أن تتمتع بجرس موسيقي يقربها من الذائقة العربية.

أما بالنسبة للمجاز في الهايكو، فحسب علمي أنه ليس محرما كما تشهد بذلك عدد من قصائد الشعراء الكبار في هذا اللون الشعري، سوى أنه ليس بغية في حد ذاته لكنه أداة تأتي طوعا وليس صناعة، ومن ثمة فإنني من المنافحين عن جرعة محددة من المجاز في الهايكو العربي، جرعة قد تزيد قليلا عما هو موجود في شعريات الهايكو الأخرى، نظرا لما يحتله المجاز في الشخصية العربية، إن الأمر يشبه إلى حد بعيد مقادير استعمال الملح في الطعام .. هذا علما أن اللغة العربية تطفح بالمجاز حتي حين تستعمل في مجال العلوم البحتة أحرى في أشكال شعرية، وهنا تظهر مهارة الهايكيست المتمثلة في عدم الزيغ بالهايكو إلى الأشكال الشعرية المتاخمة..

***يعتقد الكثيرون من متابعي شعر الهايكو أن هناك استسهالا واضحا لممارسة كتابة الهايكو من الجميع، بسبب ما توفره مواقع التواصل الاجتماعي من امكانيات للنشر والانتشار المفتوح، ما رأيك بهذا الأمر، وهل تعتقد بضرورة أن يكون ممارس كتابة الهايكو ذا خلفية شعرية بالأساس؟**

إني أعتقد أن الشعر هو ملك عمومي، مثل اللغة تماما، ومن حق كل إنسان أن يعبر بالطريقة وبالوسائل الإنسانية التي يريد، ومن ثمة فأنا لا أتبرم من تكاثر ممارسي الهايكو بالشكل الذي نشهده اليوم، بل أنا أفرح بكل إنسان جديد يكتب أو يحاول أن يكتب الهايكو والشعر عموما، لا سيما أن مواقع التواصل الاجتماعي قد أصبحت اليوم تتيح مساحات واسعة للتعبير عن مكنونات الذات، وهذا الأمر ينبغي أن يؤخذ في بعده الإيجابي، إذ ما الضير أن يكون كل الناس شعراء يمارسون الهايكو وباقي الأشكال الشعرية ؟ وهم في الحقيقة جميعا يعيشون الإحساس الشعري بطرق وأشكال مختلفة، سواء بواسطة اللغة أو بوسائط أخرى غيرها، أو حتى بدون وسائط إطلاقا ..

بمعنى أن حق كتابة الهايكو هو مكفول لكل الناس مهما كانت مستوياتهم الثقافية والمعرفية، ما دامت كتابة الهايكو في عمقها الأنقى ينبغي أن تتم بمشاعر طفولية في منتهى البراءة، أي قبل أن يحصل أي "تلوث ثقافي"، إنه تعبير عن فطرة الإنسان، بمعنى أنه – في نظري -لا يحتاج أن يتوفر المرء على عتاد مفاهيمي شعري ونقدي ولغوي ولا على خلفية شعرية سابقة لكي يمارس الهايكو، بل إن ذلك قد يفسد صفاء الهايكو أحيانا، لأن الطفل لا يمكن أن يمارس طفولته بخلفية شيخوخته، فيما يظل العكس صحيحا .. بعد ذلك فقط يمكن أن يتدخل النقد، الذي بإمكانه أن يغربل المنتوج وفق تصورات نقدية وثقافية خاصة به.

*** ماذا عن جديدك الإبداعي في شعر الهايكو، نتمنى أن تخصنا بعدة قصائد من جديدك هنا من أجل متابعيك؟**

كما هو حاصل معي، فالهايكو لا يأتي في كل وقت وحين، فهو بمثابة نبع ينز بطيئا بأمشاج النور في أعماق الذات، حتى إذا اكتملت حفنة منه حفنتها بلهفة مثل حفنة ضوء .. فبقدر ما يُلتقط الهايكو بسرعة خاطفة، فإن حركة التقاطه هي شبكة النور التي تنتسج ببطء في دواخل الهايكيست .. لي في مجال الهايكو مجموعة أولى بعنوان "خنافس مضيئة" ومجموعة ثانية قيد الإعداد للطبع بعنوان "دبيب فضيّ"، كما سيتم في إطار النسخة الرابعة لـ"الموكب الأدبي" الذي يحتفي في دورته هذه بشعر الهايكو، نشر مختارات لي بعنوان " ١٠٠ هايكو"، ومن هذه المجموعة أقترح عليكم رفقته ١٢ قصيدة مرفوقة بتخطيطات جميلة للفنان التشكيلي الكبير اليزيد خرباش .

*** هل هناك أية نصيحة تراها مهمة، وتود تقديمها لشعراء وقراء ونقاد الهايكو في الوطن العربي؟**

باعتبار الهايكو – كما يبدو لي - لحظة استنارة كاشفة، تأتي بغتة كأي رعشة وجودية لم تكن في الحسبان،ثم تتشكل شهابا مدهشا، مما يجعل من ممارسة الهايكو صلاة في الهواء الشعري الطلق، صلاة يلتحم فيها المشهد أو اللحظة بالحمولة الرؤيوية للهايكيست لتتفتّق الدهشة بصفاء وبراءة طفولية .. فلا يذهبنّ أحدٌ للبحث عن الهايكو عبر تمرينات ذهنية أو فذلكات لغوية، لأن الهايكو - عادة - هو الذي يأتي بفجائية وبساطة ومن غير أي بهرجة أو كرنفالية زائدة ، ومتى ما تم الاشتغال على الهايكو بالأدوات الشعرية المعروفة في شعريتنا العربية يفقد الهايكو هويته و يطمسه في أشكال شعرية متاخمة مثل الومضة والشذرة ويسري الأمر على نقاد الهايكو الذين ننتظر ظهورهم في مشهدنا النقدي العربي، حيث ينبغي لناقد الهايكو أن يبني أدواته النقدية المناسبة لهذا الفن الشعري بعيدا عن الأدوات والمناهج النقدية التي تم الدأب على استعمالها في نقد الشعر بأشكاله التقليدية المعروفة.

*** أجب بقصيدة هايكو عن رأيك في: النهر، الحزن، الحب، النورس، الفجر، الأم، الثلج، الوقت، الرمال، الصدى، الذكرى، الحمام، الأزرق، الكون، الهايكو.**

ثمة رأي لم أطرحه سابقا يتعلق بممارسة الهايكو تحت طلب ما، كما جرت العادة في عدد من المناسبات وعدد من صفحات وأندية الهايكو، هذا الرأي مفاده أنني أعتقد دوما أن الهايكو الحقيقي هو الذي يأتي وليس ذاك الذي نذهب للبحث عنه، لذلك سأختار ما يناسب الكلمات المطروحة من قصائدي السابقة، بدل التفاعل المباشر:

النهر،

بِصدْقِه الرّقْراقِ،
اليوْمَ أسَرَّ لِي نهر "زَا":
أنْتَ ضِفّتِي الثّالثَة !.

الحزن،

فجْأة،
ظلَّ قبْر جدِيد
يَميلُ على قبْر مُجاوِرْ .

الحب،

الحبّ،
أمامَ الضّوء الأحْمرْ،
أفكّر في الأمرْ.

النورس،

الآنَ ، الآنْ ،
لديّ ما يُناسب ريشَك المبلّل
أيّها النّورس.

الفجر،

مع الفجْر،
واحدةً واحدةً
تنْقشِعُ أزْهارُ الجلّنارْ .

الأم،

أمَام الكامِيرَا،
تسْدلُ أمّي يديْها
كمَا حينَ تُصلّي.

الثلج،

منَ الظّلام الذي اجْتزْتُ،
بيضاء ماَ تَزالُ
نُدَفُ الثّلج على كتِفيّ.

الوقت،

الوقْتُ يدْهمُني،
منْ ساعَة الحائِط المُعطّلة
أحْدسُ ذلك .

الرمال،

أثَرُ خطْونا،
ما تبقّى عنِ الرّيح
يطْمِسُه الغَسق.

الأزرق،

صبَاحٌ صَاحٍ،
وجْهي علَى صفْحةِ الماءْ
تُخالِجُه السّماءْ.

الذكرى،

المَسْيدُ العَتيقْ،
جنْبًا إلى جنْبٍ
السَّحالِي وذكْرياتي.

الهايكو

أكَادُ أَقْبضُه،
يَطِيرُ الهايْكُو و يحُطُّ،
يا لَطَائِرِ السُّبَدِ .

الحمام،

يطِيرُ الحَمام،
الرّيشُ المُتساقط منه
يطِيرُ معَهْ.